التاريخ: 26. 04. 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ.

وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ.

«بَرَكَةُ الْحَيَاةِ التِّجَارِيَّةِ: أَخْلاَقِيَّاتُ الْعَمَلِ»

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

يَبْحَثُ اِبْنُ آدَمَ عَنِ الرِّزْقِ لِتَوْفِيرِ تَكَلُّفَتِهِ وَنَفَقَةِ عَائِلَتِهِ لأَنَّهُ مُكَلَّفٌ عَنْ مَعِيشَتِهِمْ. وَمِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ هَذَا الْغَرَضِ، وَوِفْقًا لِسُنَّةِ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةِ، يَقُومُ كُلُّ شَخْصٍ بِأَعْمَالٍ مُخْتَلِفَةٍ. مِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ كَعَامِلٍ فِى الْمَصْنَعِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ كَصَاحِبِ الْعَمَلِ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ كَمُوَظَّفٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ كَرَئِيسِ الدَّائِرَةِ. كَمْ مِنْ حِكْمَةٍ كَثِيرَةٍ فِى تَقَاسُمِ هَذِهِ الْمُهِمَّاتِ الْإِلْزَامِيَّةِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَبِالتَّالِى يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[1]

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

مَهْمَا كَانَتِ الْحَالَةُ الْمَادِّيَّةُ وَالْمَنْصِبُ الْاِجْتِمَاعِىُّ وَالْوَظِيفَةُ الْإِدَارِيَّةُ فَإِنَّ كُلَّ النَّاسِ مُتَسَاوُونَ مِثْلَ أَسْنَانِ الْمُشْطِ. وَفِى الْوَاقِعِ مِنْ حَيْثُ الْعُبُودِيَّةِ لاَ فَضْلَ وَلاَ اِمْتِيَازَ لِأَحَدٍ عَلَى الْآخَرِ إِلاَّ بِالتَّقْوَى. فَاعْلَمُوا أَنَّ الْعِلاَقَةَ بَيْنَ الْعَامِلِ وَرَبِّ الْعَمَلِ فِى الْحَيَاةِ التِّجَارِيَّةِ لاَ تَمْنَحُ النَّاسَ مَكَانَةً خَاصَّةً عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. مَا يَعْبَأُ بِنَا رَبُّنَا لَوْلَا إِيمَانُنَا. لاَ قِيمَةَ الإِنْسَانِ عِنْدَ اللَّهِ إِلاَّ بِإِيمَانِهِ وَعِبَادَتِهِ وَأَخْلاَقِهِ وَتَقْوَاهُ. وَيُحذِّرُنَا نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا فِى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: {**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**}[2]

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ هِى اِسْتِخْدَامُ الْعَامِلِ وَتَوْفِيرُ الْعَمَلِ لِشَخْصٍ وَالْمُسَاعَدَةُ لَهُ لِكَىْ يَكْسِبَ رِزْقَهُ مِنَ الطَّرِيقِ الْحَلاَلِ حَتَّى يَجْلِبَ مَعِيشَةَ عَائِلَتِهِ. بَيْدَا أَنَّهُ يَجْلِبُ أَيْضًا اَلْحُقُوقَ وَالْمَسْؤُولِيَّاتِ الْمُتَبَادِلَةَ. وَعِنْدَمَا يَتِمُّ اِحْتِرَامُ بِهَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّاتِ وَالصَّلاَحِيَّاتِ وَكَذَلِكَ اِهْتِمَامُ بِالْحُقُوقِ الْمُتَبَادِلَةِ سَوْفَ نَحْصُلُ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ سَوْفَ يَعِيشُ الْمُجْتَمَعُ فِى سَلاَمٍ وَازْدِهَارٍ وَأَمْنٍ وَسَعَادَةٍ.

لَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَلْعَلاَقَةَ بَيْنَ الْعَامِلِ وَصَاحِبِ الْعَمَلِ وَبَيْنَ الْمُوَظَّفِ وَالضَّابِطِ بِأَنَّهَا " عَلاَقَةُ الْأُخُوَّةِ " وَأَمَّا الْمَبْدَأُ الْأَسَاسِىُّ فِى الْعَلاَقَةِ بَيْنِ الْإِخْوَةِ هُوَ الْحُبُّ وَالْاِحْتِرَامُ وَالرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالتَّضَامُنُ وَالتَّسَانُدُ.

مَنْ أَخَذَ فِى عَيْنِ الْاِعْتِبَارِ تَحْذِيرَاتِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ الشَّرِيفَةَ مِنْ أَرْبَابِ الْعَمَلِ؛ هُوَ يُحَافِظُ عَلَى حُقُوقِ عُمَّالِهِ وَيُوَفِّرُ لَهُمْ بِيئَةَ الْعَمَلِ السَّلِيمَةِ. وَيُزَوِّدُ لَهُمْ اَلتَّسْهِيلاَتِ اللاَّزِمَةَ لِلْعِبَادَةِ وَالْاِسْتِرَاحَةِ وَيَدْفَعُ رَوَاتِبَهُمْ وَمُخَصَّصَاتِهِمْ فِى الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ وَلاَ يَحْمِلُ

عَلَيْهِمْ عَمَلاً فَوْقَ وُسْعَتِهِمْ وَلاَيُبْلِيهِمْ أَبَدًا وَلاَ يَلْقَاهُمْ بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَلاَ يَعْرِضُ صِحَّتَهُمْ وَحَيَاتَهُمْ لِلْخَطَرِ. بَلْ هُوَ يَأْخُذُ جَمِيعَ التَّدَابِيرِ لِلسَّلاَمَةِ وَالْأَمْنِ فِى الْعَمَلِ. وَأَنَّهُ يَعْتَبِرُ عُمَّالَهُ أَمَانَةً مِنْ اللهِ وَيُدْرِكُ أَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ عِنْدَاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِهَذَا هُوَ يُنْشِأُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَّالِهِ عَلاَقَةً دَافِئَةً وَحَمِيمَةً وَصَادِقَةً وَوُدِّيَّةً وَأُخُوَّةً. وَهُوَ لاَ يَسْتَخْدِمُ الْعُمَّالَ غَيْرَ الْمُسَجِّلِينَ لَدَى مَكْتَبِ الْعَمَلِ وَلاَ يَسْتَعْبِدُهُمْ مَحْرُومِينَ مِنَ الْحُقُوقِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْاِجْتِمَاعِيَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

وَعَلَى صَعِيدٍ آخَرَ هُنَاكَ بَعْضُ وَاجِبَاتِ الْعُمَّالِ أَيْضًا تِجَاهَ صَاحِبِ الْعَمَلِ فِى الْحَيَاةِ التِّجَارِيَّةِ. وَمَنْ أَصْغَى إِلَى تَوْجِيهَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ الشَّرِيفَةَ، هُوَ يُحْسِنُ وَيُتْقِنُ فِى عَمَلِهِ. وَيَعْتَبِرُ مَكَانَ الْعَمَلِ مِثْلَ بَيْتِهِ وَلِذَا يَحْرُسُ عَلَى الْمَكَانِ وَالْأَدَوَاتِ والْمُعِدَّاتِ وَالْبَضَائِعِ كَمَا يَحْمِى عَلَى مُمْتَلِكَاتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ. وَلَا يَسْتَخْدِمُ إِمْكَانَاتِ مَكَانِ الْعَمَلِ لِتَلْبِيَةِ اِحْتِيَاجَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ. وَيَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَمَا لاَ يَعْمَلُ جَيِّدًا وَيُنْتِجُ إِنْتَاجًا دُونَ جَوْدَةٍ وَكَفَاءَةٍ، سَوْفَ يَتَسَبَّبُ هَذَا التَصَرُّفُ فِى تَحْقِيقِ مَكَاسِبَ غَيْرَ عَادِلَةٍ.

وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْمُوظَّفِ أَوْ الضَّابِطِ الَّذِى يَعْمَلُ فِى الْخِدْمَةِ الْعَامَّةَ أَنْ يَعْتَبِرَ أَنَّ هَذِهِ الْخِدْمَةَ هِىَ أَمَانَةٌ عَلَى كَتِفِهِ الَّتِى أُؤْتُمِنَتْ مِنْ قِبَلِ الْأُمَّةِ. وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ لاَ يَنْسَى أبدًا أَنَّ كُلَّ إِهْمَالٍ وَخَطَأٍ سَيَنْتَهِكُ حَقَّ الْعَبْدِ وحَقَّ الْجُمْهُورِ وَلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ كَمَا كَانَ لِكُلِّ عَمَلٍ جَيِّدٍ لَهُ ثَوَابٌ كَبِيرٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[3]

يَا إِخْوَانِى! وِفْقًا لِتَحْذِيرِ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ جَلَّ وَعَلاَ شَأْنُهُ، نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى وَعْى الْعُبُودِيَّةِ فِى عَالَمِنَا الْعَمَلِ كَمَا كَانَ فِى كُلِّ مَرَافِقِ حِيَاتِنَا. إِذًا هَيَّا بِنَا نُحَاوِلُ أَنْ نُنْتِجَ أَحْسَنَ إِنْتَاجٍ، دَعُونَا نَكْسِبُ رِزْقَنَا مِنَ الطَّرِيقِ الْحَلاَلِ. وَلاَ نَقْتَصِرُ بِالتَّعْلِيمِ الْمِهَنِيِّ فَقَطْ إِلَى الْمُبْتَدِئِ وَالْمُشْرِفِ والْمُحْتَرِفِ فِى الْعَمَلِ بَلْ نُضِيفُ إِلَيْهِ فِى نَفْسِ الْوَقْتِ اَلتَّعْلِيمَ التَرْبَوِىَّ وَنُعَلِّمُ لَهُمْ اَلْقِيَمَ اْلأَخْلاَقِيَّةَ الْحَمِيدَةَ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لاَ الْحَصْرَ؛ اَلصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ وَقِيمَةَ عَرَقِ الْجَبِينِ وَعَمَلِ الْيَدِ وَكَسْبِ الْحَلاَلِ وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَدَعُونَا نَغْرِسُ اَلتَّوَاضُعَ وَالْأَخْلاَقَ الْفَاضِلَةَ فِى نُفُوسِهِمْ. وَمِنْ خِلاَلِ هَذَا التَّعْلِيمِ. وَعَلَى أَسَاسِ حِكْمَةِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُونَا نُنْقِلُ اَلْأُخُوَّةَ الْإِسْلاَمِيَّةَ وَأَخْلاَقِيَّاتِ الْعَمَلِ إِلَى أَجْيَالِنَا.

وَأَخْتَتِمُ خُطْبَتِى بِهَذَا الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: {**ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ**}[4]

---

[1] سُورَةُ الزُّخْرُفِ، 32/43.

[2] رَوَاهُ الْمُسْلِمُ، بَابُ الْبِرِّ، رَقَمُ الْحَدِيثِ: 34.

[3] سُورَةُ القاف، 16/50-17.

[4] رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ، بَابُ الْإِجَارَةِ، رَقَمُ الْحَدِيثِ: 10.